رشيد فى ضحى عيدها

للأستاذ محمد محمود جلال

كدنا لا نذكر اليوم عن « رشيد » إلا إخراج الأرز طعاماً شهياً . وأنها مقر صناعته ولا نعرف لها أكثر من الترويح الذى نلقاه من جمال موقعها حين نبرم بالمصيف المتمدين المملوء بالرسميات على شاطىء الاسكندرية ، فنفزع اليها نلتمس شيئاً من التغيير وقرباً من الطبيعة فى أهنأ مظاهرها

فأما نصيبها من حياتنا المعنوية فمقصور على ما تتوارثه سماعاً عن سرعة النكتة فى طبيعة أهلها ، فنتنادر بشىء مما حفظنا منه فى مناسبات متباعدة ، فاذا طلبت فى إحدى بيئاتنا مزيداً فلست تجده إلا رواية عن مختصر مخل من كتب الجغرافيا « فهى ميناء على ملتقى النيل بالبحر الأبيض المتوسط وهى مركز من مديرية الغربية كانت محافظة إلى عهد قريب »

وهكذا غمطت « رشيد » حقها ، وغمر فى قاموسنا أصلها كما ذهب الاهمال بأكثر صحفنا ، وعصفت الأنواء بمفاخرنا . كأنها لم تكن طغراء فى كتاب الجهاد الحديث ، ومسرحاً أظهر الله فيه آيات الحكمة والبسالة لشعب وادى النيل . كأنها ليست هى رشيد التى حققت فى سنة ١٨٠٧ ما لا يزال فى أحضان التقدم والرقى مجرد أمل لوادى النيل ، وأمنية لأكثر أقطار الشرق

أحببت أن أرى رشيد فى أول أبريل ، وكنت بالاسكندرية والمسافة بينهما تقطعها السيارة فى ساعتين

تخيرت « سيارة أجرة » أعجبنى مظهرها واطمأنت نفسى الى أدب سائقها ، وسارت تقطع الطريق وقد أوصيت قائدها بالتؤدة لعلة الأمعاء التى أشكو

وقف بى السائق فى الطريق عند « ادكو » المشرفة على بحيرتها ونزلت أمشى قليلاً على قدمى . فلما عدت أستأنف رحلتى وجدت السائق قد أعد فنجان قهوة وكوبة ماء وقدمهما إلىّ فى أدب يندر أن تراه فى زملائه . شكرت له صنيعه وألححت فى أن يطلب له فنجاناً آخر وسرحته ريثما يشربه فى قهوة مجاورة بيد أنه لم يقبل إلا بعد مشقة

جلست إلى جوار السائق مستأنفاً رحلتى وقد ألهمت أن للرجل قسطاً من العلم ولابد من سر مؤثر فى حياته وبدأت آنس به

قلت : « لأى غرض تظننى أقصد إلى رشيد اليوم ؟ » قال : « لعل حضرتك محام ولديك اليوم جلسة » قلت : « لقد تركت المهنة منذ ثمانى حجج وأنا اليوم فلاح مقيم بالوجه القبلى » قال : « لعلها نزهة ، فكثير من الخواجات يأتونها فى أوقات مختلفة » قلت : « ولا هذا أيضاً وليس معى رفيق ولم أر رشيد من قبل »!! قال : « لعلك تزور صاحباً » قلت : « لا أعرف بها أحداً وقد ذكرت لك أن هذه أول زيارة لها »

اكتفيت من حدس السائق بما سمعت ، وخففت عنه عبء الفكر فقلت : « هذا يوم عيد لرشيد — بل عيد لوادى النيل . فقد أشرقت شمس هذا اليوم منذ ١٢٨ عاماً وللمدينة غنى بشمس النصر ، وحرارة الجهد والظفر على المعتدين حتى جلا

ويرضون بالشاعر وسيطاً تملى عليه القدرة القادرة ما تشاء من ضروب القول وألوان المطالعة ، وما لمثل هذا يُسخر الفن ويخلق الشعراء ! لشدّ ما هزئنا بالذين كانوا يؤمنون بحلول الجن أجساد البشر ، ثم يُجرون على ألسنتهم ما يشتهون من الحجج واللجات والنزوات ! نعم إن الشعور الصادق فى اللفظ الجميل قوامُ الشعر الصحيح ، ولكن الشعور النفسى لن ينبجس صافياً عذباً مهيئاً للبيان ، وما أحسبه يصفو ويعذب إلا إذا نهد له الشاعر بنشاطه فجرّده من الأدران التى تمازجه ، ونفض الغبار عنه ثم أهداه للقارئ أنشودة رائعة وأثراً كاملاً . . .

بيروت محمد روحى فيصل

الأنجليز فى ظل معاهدة مع محمد على باشا عن البلاد بعد ذلك بشهور » ! !

سُرَّ السائق بما سمع وبدا لى أنه يريد أن يتكلم فلزمت الصمت قال : « إن بلاءنا منا وباسبابنا . قلت : لِم وكيف كان ذلك ؟ قال : « ألا تذكر حضرتك كيف التجأ الخديو توفيق باشا لحماية الانجليز ؟ — ألم تسرق من معسكر عرابى خريطة فى التل الكبير بواسطة أحد الضباط » ؟ !

ذكرت على التو أمر الخريطة وأنى قرأت شيئاً من ذلك فى أحد المؤلفات التى كتبت عن المسألة المصرية وإذا لم تخنى الذاكرة فهذا الضابط الذى يعنيه يدعى « على يوسف خنفس »

قلت : ولكن بعد ذلك ألم يكن سبيل لتصحيح الخطأ ودرء الخطر ؟ »

قال : « ألم يكن رؤساء الحكومة أغرابا بين تركى وأرمنى وروى ؟ »

تساءلت : ومن هذا الأرمنى ؟ أو كان لنا رئيس حكومة أرمنى ؟

قال : نعم . نوبار باشا ، ألم يساعد على سلخ السودان ؟ استدركت قائلاً « بل قل الوجه السودانى كما تقول الوجه البحرى والقبلى . أو تعرف للسودان قيمة ؟ »

قال : « إنه حياتنا ، ولقد عشت فيه ، ونلت الشهادة الابتدائية من كلية غوردون »

صدق ظنى فأنا بأزاء رجل متعلم ، وطاب لى أن يستمر فى حديثه وكله سمر مفيد متصل بما أعنى به

سألت السائق : « وما الذى دفع بك الى الوجه السودانى ؟ »

قال : « ولدت هناك ؛ وقد كان أبى موظفاً بمصلحة السكة الحديد . أرسل الى السودان ليدرب المبتدئين هناك من عمال التلغراف ، ولما عدنا أتممت دراستى الى شهادة الكفاءة ، وشق علىّ أن أسمى للوظيفة وسط أمواج الساعين وذل الوساطة ، فتعلمت قيادة السيارات واشتريت هذه ، وأنا بعيشى قانع ولله شاكر »

لم أجد بداً من تحيته تحية تجزىء شيئاً من كرامته وحسن تقديره للحياة ولوطنيته . قلت : قف السيارة — وقد ظن أنى أريد استئناف السير على قدمىّ لدقائق أخرى ، فهمّ يفتح الباب

قلت : كلا . أمدد يدك انى أصافحك ، وأنت الآن فى نظرى خير منى ، وأنت إذن سائق ورفيق

* * *

أشرفنا على المدينة ، فسألت السائق هل يعرفها جيداً ؟ قال « نعم » فاطمأن خاطرى فنزلت وصورت مدخلها

رأيت أعلاماً منشورة ، وزينات مرفوعة ، وبشراً يغمر الوجوه . فقلت : الحمد لله إنهم يعرفون لليوم حقه . والتفت إلى رفيق خريج « كلية غوردون » وقلت : « ألا ترى مظاهر العيد ؟ » أجاب الرجل : « إنه اتفاق سعيد ، فقد ازينت المنازل والطرقات لعودة الحجاج من أهل رشيد ، وقد دعيت أمس لاركب سيارتى أحد أعيانها القادمين ، ولكنى وعدتك أن أوافيك بفندق وندسور . فاعتذرت مهما علا الأجر ، وأنا اليوم أعد نفسى سعيداً »

قلت : بل أنا يابنىّ ، فقد وجدت فيك من يحتفل معى بهذا العيد على معرفة ! » وقلت : لا يزال فى الدنيا من يرخص المادة فى سبيل الوفاء ، وإذن ماتزال الدنيا بخير

رشيد بلد ظريف جذاب . إذا نظرت إلى التقاء النيل عنده بالبحر الأبيض المتوسط ، ذكرت على التو كيف انسابت مدنية وادى النيل القديمة إلى أوربا ، وعرفت كيف سارت تعاريج الأمواج الحلوة الهادئة بين الشاطئين الهادئين ، فكانت أشبه بالسطور يحملها الأثير بفعل الاختراع — فنقلت فى أقدم العصور التشريع المصرى إلى (أثينا) فأضفت على تاريخها مفخرة التقنين وسن الشرائع

أمواج النيل الهادئة ، بالاضافة الى أمواج البحر الصاخبة الهائلة ، كذلك الخلق الرصين المتين يثابر متئداً فيتغلب على صخب الجبروت ، والهيولى الضخمة المخيفة لكتائب الغضب والغزو — وقد شهد وادى النيل مصارع أمم كبيرة فأفنى قواها أو مثلها ففنيت فى شعبه

مررنا بالمبانى الحديثة فقلت خلوا بينى وبينها ، أروى المبانى القديمة ، أسمعونى الشهود العدول ، دعوها تحدثنى عما شهدت وتطلعنى على ما خفى من تفاصيل المفاخر

رأيت المنازل القديمة ، ووقفت بربوعها أسائلها وتجيبنى . أصغى إلى (طيقانها) الصغيرة ، فأسمع حديث الاباء والشمم ، ووقفت بأبوابها أذكر القرى والكرم

التقيت بأحد أبناء رشيد الكرام الأستاذ فؤاد نور المحامى فحمدت رفقته وحمدت السرى فى ظله ، زرنا المنازل الأثرية فهذا بيت (الأماسيلى) كان يملكه حاجب المحكمة الأهلية فابتاعته مصلحة الآثار ولكنه مقفل فلا دليل يقف ببابه للمسترشدين ، ولا نشرة توزع بما يجب للبناية الأثرية من بيانات ، ولا « كارت بوستال » يباع — حاوياً صوره الداخلية

والبيت من داخله تحفة فنية وفيه متعة وشغل للبصر والبصيرة ، بنى فى ٢٨ شوال سنة ١٢٢٣ هجرية وقل أن تجد من يعنى بتأريخ البناء إلا فى السنوات الأخيرة

وأعجب ما ترى فيه « مقصورات » شبيهة بالألواج التى نراها اليوم بالمسارح أعدت لجلوس السيدات ليشهدن مجالس الغناء وتسمى « الأغانى » أضافة إلى الغرض منها

وقفت إذن : أن هذا البيت قد شهد موقعة النصر وأنه شاهد أمين عليها ، وقفت به طويلاً وقلت : ما يؤلمنى أن أكون وحيداً ولا أن يرافقنى رهط قليل مادمنا نقوم بما نعلم من واجب ، فغداً يزور رشيد آلاف وغداً يكون الاحتفال عاماً ، ولاضير أن نبدأ قلة وقد نعلم أن (واشنجتون) عد فى وقت مجنوناً ، وأنه لم يخل من تآمر حرسه عليه ، وهو اليوم ، وفكرته اليوم متجه الأنظار للأمريكان جميعاً

ليس فى رشيد فندق لائق . وقد أعد يونانى مطعماً منذ سنوات قليلة فقاطعه أهل البلد حتى لم يجد مناصاً من اغلاقه وهجرة البلد

كل دار أحق بالأهل إلا فى خبيث من المذاهب رجس

ولكن هذا الميدان الذى خلا أليس من أهل البلد من يملؤه ؟ أولئك الذين كتب عنهم الجنرال سنيورات الى القائد فرزيه فى ٣١ مارس سنة ١٨٠٧ يقول : « إن الأهالى لا يعبأون بالمصائب برغم ما أحدثنا بالمدينة من تخريب حتى بلغ ما أطلقناه من القنابل من المدافع البعيدة المرى وحدها ٣٠٠ قذيفة »

على أحفاد أولئك الكرام أن يحتفلوا بذكرى أجدادهم ويمجد بلدهم . وعليهم أن يسدوا كل ثغرة ، ولعلنا نقتبس الرشد عما قريب عن رشيد

الشيخ عطا

محمد محمود جلال
المحامى

فلسفة موسى بن ميمون

ومصنفه « دلالة الحائرين » (١)

بقلم اسرائيل ولفنسون

أستاذ اللغات السامية بدار العلوم

عن النوفيل ليتريير

إذا كانت مدونات موسى ابن ميمون التشريعية قد صنفت لابناء الثقافات اليهودية قبل كل شىء ، وإذا كانت البحوث التى وردت فيها لا تتجاوز حدود الدين وأدب الدين والتشريع الاسرائيلى فان كتاب دلالة الحائرين يشغل ناحية أخرى من التفكير الانسانى ، هى الناحية الفلسفية والمنطقية ، أو الناحية الانسانية العامة التى كانت تشغل بال المفكرين ورجال الفلسفة فى ذلك العهد

وقد اعتمد موسى بن ميمون فى أثناء تأليف كتابه « دلالة الحائرين » على المصادر العربية التى كان له بها إلمام يندر أن يكون فى شخص آخر من أحبار اليهود فى القرون الوسطى ، كما كانت له دراية تامة بمؤلفات اليهود باللغة العربية ، ومع أنه لم يسرد أسماء المؤلفين إلا فى أحوال نادرة فان نظرياتهم تتكرر فى كثير من فصوله فى كتابه « دلالة الحائرين » إذ يسرد آراء سعديا الفيومى (٢) و تخيا (٣) وسليمان بن جبيرول (٤) ويهودا هالوى (٥) وابرهيم بن

(١) فصل من كتاب عن موسى بن ميمون تحت الطبع

(٢) راجع كتاب دلالة الحائرين ج ١ فصل ٦٥ ، ج ٢ فصل ٦٣ ، ج ٣ فصل ١٧ (٣) ج ١ فصل ٥٩ ، ج ٣ فصل ٨

(٤) ج ٢ فصل ٤٢ (٥) ج ١ فصل ٥٢